إيلاف قريش وأثره على العلاقات الخارجية في المجتمع المكي " سياسياً ، اقتصادياً ، اجتماعياً "

أ. عبد الحكيم عاشور ميلاد الشعافي
كلية الآداب والعلوم قصر الاخيار جامعة المرقب
Jalpo1967@gmail.com

مقدمة

مما لا شك فيه أن شبه الجزيرة العربية بموقعها الجغرافي الممتاز قد قامت بدور مهم في تجارة العالم عبر مختلف العصور ، وخاصة فترة ازدهار التجارة القرشية ، وكونت بمياهها الهادئة وشواطئها الصالحة للملاحة وتوسطها قلب العالم القديم حلقة وصل رئيسة تربط بين أقدم عالمين عرفتهما البشرية عالم الثروات الطبيعية في الشرق ، وعالم البحر المتوسط في الغرب .

وعندما بدأت الصراعات تتزايد حول طرق التجارة بين دولتي الروم والفرس في شبه الجزيرة العربية من ناحيتها الشمالية والجنوبية ، ظهرت مكة بقيادة قريش على النحو الذي ستتناوله هذه الدراسة ، لتساعد التجارة الشرقية في مواصلة نقلها من شبه الجزيرة العربية إلى كافة أقطار العالم و خاصة الدولة البيزنطية ، التي كانت بحاجة إلى سلعها ، مثل البخور والعطور والحرير والتوابل ، وأخذت هذه التجارة تزدهر شيئاً فشيئاً حتى أصبحت مكة الوسيط التجاري الوحيد الذي لا منافس له في المنطقة بتنظيمها وقوافلها .

وعلى كثرة ما كتب في هذا الموضوع ، فلا زالت المكتبة الليبية بحاجة إلى دراسة علمية موضوعية ومتكاملة لبداية تاريخ مكة السياسي والاقتصادي والاجتماعي في الفترة التي تم اختيارها لهذا الدراسة ، لأن مثل هذه الدراسة من شأنها أن تكشف عن طبيعة العلاقات المكية في مراحلها الأولى وهذا الكشف ضروري لمعالجة العلاقات القرشية وتحليلها تحليلاً موضوعياً يمكّن من معرفة تاريخ الدولة بعد ظهور الإسلام معرفة جيدة ، وعليه فقد ركزت هذه الدراسة على تطور نظام الحكم في مكة قبل ظهور الإسلام ، (نظام الإيلاف) كخطوة سياسية لدار الندوة ، وعن أحوال مكة السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وذلك

لتبلور الدور المهم الذي قام به الإيلافيون ، ودورهم السياسي في النهوض بالمجتمع المكي في جوانبه الاقتصادية والاجتماعية والأدبية والفكرية وربطها بالنظام السياسي ، وأثره على المجتمع القرشي .

أولاً : تحديد معنى الإيلاف:

وردت العديد من الروايات في معنى الإيلاف من قبل المفسرين واللغويين والمؤرخين يورد الباحث المشهور منهم :

قال أبو إسحاق الزجاج : "في لإيلاف قريش ثلاثة أوجه : لإيلاف قريش ، ولإلاف قريش ، ووجه ثالث لإلف قريش ، قال : وقد قُرِيء بالوجهين الأولين"(الازهري ، د.ت ،378)، ويتبين من بعض مصادر التفسير والمعاجم أن الوجهين الأول والثالث من معنى واحد . لكن الأول متعد لمفعولين من قولك :"آلفت فلاناً الشيء إذا ألزمته إياه ، أولفه إيلافاً" ، والثاني متعدٍ لمفعول واحد من قولك :"ألفت الشيء وآلفت فلاناً إذا أنستُ به"(ابن منظور ، 1968م ، 38)، وألفت بينهم : إذا جمعت بينهم بعد تفرق(المسعودي ، 1987م ، 59)، وقد ذكر ابن هشام في سيرته اللفظة بقوله : "وإيلاف قريش إيلافهم الخروج إلى الشام في تجارتهم ، وكانت لهم خرجتان : خرجة في الشتاء وخرجة في الصيف... والإيلاف أيضاً : أن تؤلف الشيء إلى الشيء فيألفُه ويلزمُه"(ابن هشام ، د.ت ، 110).

كما قيل في معاني الإيلاف : بأنه الدأب(ابن سعد ، 1990م ، 75)، أو أنه العود(البغدادي ، د.ت ، 162)، وقيل أنه أمان الطريق والناس عند مرورهم بأرض غيرهم(البغدادي ، 1964م ،33)، كما جاء معناه بأنه الإجارة ، فيؤلف: أي يجير ، لذلك سمي أبناء عبد مناف بالمجيرين(الزبيدي ، 1981م ،44)، أو المجبرين لأن الله جبر بهم قريشاً (الطبري ، 1991م ، 504) ، أو أقداح النظار ، وفي رواية لابن العباس : أن الإيلاف يعني الذمام (الطبري ، 2001م ، 371)، كما جاء بمعنى الحبال والعهود(الاندلسي ، 1967م ،328)، يقال كانت بينهم حبال فقطعوها ، أي عهود وذمم ، وذلك أن العرب كانت تخيف بعضها بعض فكان الرجل إذا أراد سفراً أخذ عهداً من سيد قبيلة فيأمن بذلك ما دام في حدودها حتى ينتهي إلى أخرى فيأمن بذلك(الزبيدي ، 269)، أو العصم، ومعناها المنع . وعصمه تعني منعه مما يوبقه(دراكة ، 1984م ، 56)، كما ورد أيضاً بأنه ربح خصصه هاشم لرؤساء القبائل ، ويحمل لهم متاعاً من متاعه ، ويسوق إليهم إبلاً مع إبله ليكفيهم مؤنة الأسفار ، ويكفي قريشاً مؤنة الأعداء ، فكان ذلك صلاحاً للفريقين ، إذ كان المقيم رابحاً والمسافر محفوظاً(الثعالبي ، 1965م ،

116)، ويذكر أنه معنى مخصوصاً لا ينطبق إلا على العهود التي عقدها الزعماء المكّيون مع ملوك الأطراف لضمان سير تجارتهم(سحاب ، 1992م ، 20)، وفي تفسير الإيلاف قال : الخليل بن أحمد الفراهيدي : آلف يؤلف ، وقال الأزهري : الإيلاف شبه الإجازة بالخفارة ، يقال آلف يؤلف . وألف يؤلف ، إذا أجاز الحمائل بالخفارة ، والحمائل جمع حمولة وذلك أن قريشاً لم يكن لهم زرع ولا ضرع ، فكانوا يرحلون رحلتين... والناس يتخطفون ، وسواء أكان هذا أم ذاك فإن الإيلاف ضرب من المال ، يدفع طواعية كهداية أو منح لرؤساء القبائل التي تمر بحرمها القوافل التجارية القرشية ، ولكن يمتنع في الإيلاف عنصر الإلتزام أو الإكراه لمكانة بني عبد مناف الأربعة لدى أولئك الرؤساء ، ولأن العرب كانت تعظم القرشيين وتدعوهم "أهل الحرم"(الشامي ، 1990م ، 316)، ويرجع التفاوت لمعاني الإيلاف في فهم المعنى العام إليه كظاهرة عملية لقريش ، أو فهم المعاني اللفظية من حيث علاقتها بنعمة الاستقرار والاجتماع في مكة ، والاعتياد على القيام بالرحلات التجارية بأمن وطمأنينة بفضل الأحلاف أو العصم أو الحبال التي أخذها سادة قريش من زعماء الدول المجاورة ، ومن رؤساء القبائل النازلة على طرق التجارة(دراركة ، 53).

ثانياً:مسألة الإيلاف في كتب التفسير .

ليس من طموح البحث الخوض في مسائل قرآنية هي أصلاً من اختصاص المفسرين ، وللتفسير دون شك أسسه الابيستيمولوجية(*)(Epistemology) المستقلة والمختلفة عن أسس المنهج التاريخي ، لذا سيقتصر الباحث على التأمل من جديد في مفهوم الإيلاف سواء من خلال النظر إلى تناول المفسرين لمفهومه والطريقة التي نظروا بها إلى المسألة أو من خلال الروايات التاريخية التي تداولها المفسرون ووثقوا بها لأسباب النزول.

طرحت سورة الفيل وسورة قريش على وعي المفسرين مسائل علمية كثيرة ، فلم يكن من مشاغلهم بطبيعة الحال كتابة تاريخ قريش ، لكن بما أن الآية تحيل على وقائع تاريخية ، ولعلها الآية الأكثر تاريخية واتصالاً بأزمنة قريبة من التاريخ العربي عشية الإسلام ، فقد كان مطروحاً على وعيهم أن يوضحوا مقاصد التنزيل واستنثار المعارف التاريخية الواصلة إليهم لفهم بلاغات الآية ، والذي يمثل فرصة مساعدة على

(*) تعني كلمة (Episteme)في اللاتينية العلم الجديد الذي يدور حول المعرفة أو بمعنى آخر دراسة طبيعية ومصداقية المعرفة ، أو باختصار "نظرية المعرفة" ، عامر رشيد مبيض ، موسوعة الثقافة السياسية الاجتماعية الاقتصادية العسكرية ، " مصطلحات ومفاهيم" ، دار المعارف للنشر ، حمص ، 2000م ، ص25

توسيع دائرة السبر والتقصي حول مفهوم الإيلاف (سعيد ، 2006م ، 142) ، تسوق كتب التفسير جدلاً ثرياً حول تفسير سورة قريش لما لها من خصوصية جعلت التاريخ حكماً في المسألة ، فمن المعروف أنها تبدأ بشكل يثير شيئاً من الغرابة في بناء الجملة العربية إذ تبدأ بشكل يوحي بأنها استمرار لكلام سابق ، ولذلك كان للمسألة أهمية كبيرة بما لها من امتدادات لغوية وأسلوبية وتاريخية ، عليه لا يبدو من الضروري توسيع دائرة السبر والتقصي في اتجاه كل التفاسير(سعيد ، 143)، فالباحث يوجه اهتمامه إلى أهمها وأكثرها شمولية : تفسير الرازي وتفسير القرطبي وتفسير الطبري ، وتفسير ابن كثير:

يقسم الرازي تفسير سورة قريش إلى أربعة مسائل يفرد الباحث منها الآتي :

المسألة الأولى / اللام في قوله "**لإيلاف**" تحتمل وجوهاً ثلاثة :

الوجه الأول : أن تكون متعلقة بالسورة التي قبلها ، وفيه احتمالات:

ـ وهو قول الزجاج وأبي عبيدة إن التقدير﴿ **فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ**﴾ لإلف قريش أي أهلك الله أصحاب الفيل لتبقى قريش ، وما قد ألفوا من رحلة الشتاء والصيف... ، بل إنما فعل ذلك بهم (لإيلافهم قريش) ولتعظيم منصبهم وإظهار قدرهم....

. أن يكون التقدير ﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَبِ الْفِيلِ** ﴾، ﴿ **لإِيلاَفِ قُرَيْشٍ** ﴾،كل ذلك إنما كان لأجل إيلاف قريش.

. أن تكون اللام في قوله تعالى ﴿ **لإِيلاَفِ** ﴾ بمعنى أنه قال فعلنا كل ما فعلناه في السورة المتقدمة إلى نعمة أخرى عليهم وهي إيلافهم ... رحلة الشتاء والصيف...(الرازي ، 1938م ، 103)

وقيل : إن هذه السورة متصلة بالتي قبلها في المعنى . يقول : أهلكت أصحاب الفيل لإيلاف قريش ؛ أي لتأتلف ، أو لتتفق قريش ، أو لكي تأمن قريش فتؤلف رحلتيها(القرطبي ، 1952م ، 200).

الوجه الثاني : وهو أن اللام في﴿ **لإِيلاَفِ** ﴾ متعلقة بقوله فليعبدوا وهو قول الخليل وسيبويه ، والتقدير ﴿ **فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ،لإِيلاَفِ قُرَيْشٍ** ﴾أي ليجعلوا عبادتهم شكراً لهذه النعمة واعترافاً بها... ذلك لأن نعم الله عليهم لا تحصى(الرازي ، 105)، فالعبادة مأمور بها شكراً لما فعل بأعدائهم "أحباش اليمن" ولما حصل لهم من إيلافهم الذي صار سبباً لطعامهم ولأمنهم وتأسيساً على هذا

الاحتمال ، ويعتقد فكتور سحاب أيضاً أن السورتين تشهدان على "امتداد نفوذ الحبشة في غرب الجزيرة واحتمال سيطرتهم على خطوط التجارة . فإذا كانت أخبار الرحلتين إلى الشام واليمن مقبولة في المصادر العربية ، وليس ثمة ما يوحي أنها غير صحيحة ، فإن نفوذ الأحباش لا بد وأنه امتد امتداداً عظيماً من اليمن إلى شمال الحجاز... ولعل سبب امتداد هذا النفوذ أن شمال الحجاز كان منطقة نفوذ الغساسنة ، وكلا الفريقين "الأحباش،الغساسنة" كان في معسكر بيزنطة السياسي..."(سحاب ، 23).

الوجه الثالث : أن تكون هذه اللام غير متعلقة ، لا بما قبلها ولا بما بعدها ، قال الزجاج : قال قوم هذه اللام لام التعجب ، كأن المعنى : أعجبوا لإيلاف قريش ، وذلك لأنهم كل يوم يزدادون غياً وجهلاً وانغماساً في عبادة الأوثان ، والله تعالى يؤلف شملهم ويدفع الآفات عنهم ، وينظم أسباب معايشهم ... هذا اختيار الكسائي والأخفش والفراء(الرازي ، 105)، أما ابن كثير فيذكر بقوله : "قال ابن جرير : الصواب أن اللام لام التعجب كأنه يقول أعجبوا لإيلاف قريش ونعمتي عليهم في ذلك ، وقال : وذلك لإجماع المسلمين على أنهما سورتان منفصلتان مستقلتان"(ابن كثير ، 1987م ،592)؛ أما الصواب عند الطبري ، "أن هذه اللام بمعنى التعجب . وأن معنى الكلام : أعجبوا لإيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف ، وتركهم عبادة رب هذا البيت ، الذي أطعمهم من جوع ، وآمنهم من خوف ... ، والعرب إذا جاءت بهذه اللام ، فأدخلوها في الكلام للتعجب اكتفوا بها دليلاً على التعجب من إظهار الفعل الذي يجلبها(الطبري ، 373).

المسألة الثانية / ذكر في الإيلاف ثلاثة أوجه .

الوجه الأول : أن الإيلاف هو الإلف . قال علماء اللغة ألفت الشيء وألفته إلفاً وإلافاً وإيلافاً بمعنى واحد ، أي لزمته فيكون المعنى لإلف قريش هاتين الرحلتين فتتصلان ولا تنقطعا ، وقرأ أبو جعفر : لإلف قريش ، وقرأ الآخرون لإلاف قريش ، وقرأ عكرمة ليلاف قريش(الرازي ، 105).

الوجه الثاني :أن يكون هذا من قولك لزمت موضع كذا وألزمنيه الله ، ويكون المعنى إثبات الألفة بالتدبير الذي فيه لطف ألف بنفسه إلفاً وآلفه غيره إيلافاً ، والمعنى أن هذه الألفة إنما حصلت في قريش بتدبير الله ... فيكون المصدر ههنا مضافاً إلى المفعول ، ويكون المعنى لأجل أن يجعل الله قريشاً ملازمين لرحلتيهم.

الوجه الثالث : أن يكون الإيلاف هو التهيئة والتجهيز ، وهو قول الفراء وابن الأعرابي ، فيكون ههنا المصدر مضافاً إلى الفاعل . والمعنى لتجهيز قريش رحلتيها حتى تتصلا ولا تنقطعا(الرازي ، 105)، ويقال : يتألفون أي يستجيرون ، حيث أنشد أبو عبيد لأبي ذوئيب :

تُوصِلُ بِالرِّكْبَانِ حِيناً وَتُؤْلِفُ الْ جِوَارَ وَيَغْشِيهَا الأَمَانَ ذِمَامَهَا(الازهري ، 380)

المسألة الثالثة / يتناول فيها التكرير في قوله تعالى لإيلاف قريش إيلافهم يقول:

التكرير في قوله: ﴿ **لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِيلَافِهِمْ** ﴾ هو أنه أطلق الإيلاف أولاً ثم جعل المقيد بدلاً لذلك المطلق تفخيماً لأمر الإيلاف وتذكير لعظم المنة فيه ، والأقرب أن يكون قوله: ﴿ **لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ** ﴾ عاماً يجمع كل مؤانسة وموافقة كانت بينهم ، فيدخل فيه مقامهم وسيرهم وجميع أحوالهم ... ثم خص إيلاف الرحلتين بالذكر لسبب أنها قوت معاشهم(الرازي ، 106).

ومهما كان الرأي البات في أمر إثبات وحدة السورتين أو نفيها ، فإن فهم سورتي الفيل وقريش فهماً تاريخياً موحداً ضمن إطار علميٍ مجرد من كل الشوائب والمعتقدات القديمة التي لصقت بالتفاسير في زمن متأخر ، يعزز بما لا شك فيه ، احتمالات استفادة المؤرخ من هاتين السورتين . إذ ليس من اليسير الخوض في هذا الجدل أو ترجيح قراءة على أخرى والحكم إن كان من الأسلم أن نقرأ سورة قريش في تواصل مع سورة الفيل أو في انقطاع معها ، أو الاختيار بين آراء المفسرين ، لذلك يكتفي الباحث بإثارة المستوى الأعم من الدلالة في السياق البياني الحالي وهو البحث عن تاريخ الإيلاف(سعيد ، 147).

ثالثاً : هاشم بن عبد مناف.

إذا كان قصي هو الذي أرسى حجر الأساس لقبيلة قريش ، فإن هاشم بن عبد مناف(البسوي ، 1981م ،214)، وكنيته "أبونضلة"(ابن الاثير ، 1981م ، 9)، هو الذي أوضح معالمها وأبرز قسماتها ، ففي زمنه أصبحت مكة مركزاً قيادياً سياسياً وتجارياً ، بالإضافة إلى ما تحتفظ به من قداسة دينية ، بمبادرته إلى توثيق عقد الإيلاف كخطوة تكميلية لدار الندوة ، التي أصبحت مركزاً للحركة التجارية فيما بعد ، إضافة لكونها مجلساً للتشاور لسادة قريش وللحفاظ على مواقعهم الاجتماعية وثرواتهم المتزايدة ، فهاشم كان صاحب نظرة شمولية امتدت لأكثر من ناحية في تدعيم الدولة التي كانت في طور البروز(عبد الكريم ، 1997م ،52).

ويذكر الإخباريون إن هاشم أكبر ولد عبد مناف سناً وقدراً ، والمطّلب أصغرهم ، أمه عاتكة بنت مرة السلمية ، وقيل أن عبد شمس وهاشماً توءمان ، ولدا وإصبع أحداهما ملتصقة بجبهة صاحبه فنحيت ، فسال الدم ، فقيل : يكون بينهما دم ، وولي هاشم بعد أبيه عبد مناف ما كان إليه من السقاية والرفادة فحسده أمية بن عبد شمس على رئاسته وإطعامه فتكلف أن يصنع صنيع هاشم ، فعجز عنه ، فشمتت به ناس من قريش فغضب ونال من هاشم ، ودعاه إلى المنافرة ، والتي انتهت إلى أخذ هاشم خمسين ناقة قام بنحرها وإطعامها وغياب أمية عن مكة بالشام عشر سنين ، ويذكر أنها أول عداوة وقعت بين بني هاشم وبني أمية(البغدادي ، 103).

ترسم رواية الإيلاف التاريخية لهاشم صورة مركبة من عنصرين أساسيين : يمثل الأول دوره الريادي في توسيع أفق التجارة المكية بتأسيسه لنظام الإيلاف القرشي ، أما العنصر الثاني فهو دوره في خدمة الحرم المكي بعد وفاة أبيه عبد مناف (الشعافي ، ص98)، وتؤكد هذه الصورة أنه من خدام الحرم من خلال إطعامه للحجاج ، وأنه من أجواد قريش ومن أشرافها ، وفي اختصاص قريش بالإيلاف دون غيرهم من العرب(سعيد ، 116)، وأنشد ابن الأنباري وهو يرد على بني أسد بقوله :

زَعَمْتُمْ أَنَّ إِخْوَتَكُمْ قُرَيْشٌ لَهُمْ إِلْفٌ وَلَيْسَ لَكُمْ إِلاَفُ
أُولَئِكَ أُومِنُوا خَوْفاً وَجُوعاً وَقَدْ جَاعَتْ بَنُو أَسَدٍ وَخَافُوا

بينما يذكر الثعالبي أن هاشم كان يأخذ الإيلاف من رؤساء القبائل وسادات العشائر لخصلتين : أن ذوبان العرب وصعاليك الأعراب وأصحاب الطوائل كانوا لا يأمنون على أهل الحرم ولا غيرهم ، والثانية أن أناساً من العرب كانوا لا يرون للحرم حرمة ، ولا للشهر الحرام قدراً ، كبني طيئ وخثعم وقضاعة ، وسائر العرب يحجون البيت ويدينون بالحرمة له(الثعالبي ، 117).

أبطل هاشم رجل التجارة والمال حالة كانت تعاني منها قريش وهي مشكلة "الاعتفاد"[*]، التي كانت قائمة قبل عهده ، فيذكر القرطبي ، "فإن تلك العادة كانت تسمى "الاعتفار"... وحدث أن أسرة من بني مخزوم شرعت في الاعتفار اتقاء لمعرة التسول ومد اليد إلى الغير وأنفة من طلب الإحسان من القريب أو الغريب...، فبلغ هاشماً ففزع أشد ما يكون الفزع... فقام قائلاً : إنكم أحدثتم حدثاً تقلون فيه وتكثر

[*] ورد في رواية عن ابن العباس : الاعتفاد هو إذا أصيب واحد من قريش مخمصه "أي مجاعة" خرج هو وعياله إلى موضع وضربوا على أنفسهم خباء حتى يموتوا جوعاً ، الالوسي ، بلوغ الآرب في معرفة أحوال العرب ، ج3 ، ص386.

العرب ، وأنتم أهل حرم الله جل وعلا وأشرف ولد آدم والناس بكم تبع ويكاد هذا الاعتفار يأتي عليكم ، فقالوا : نحن لك تبع فقال : ابتدئوا بهذا الرجل . يعني الذي اعتفر . فأغنوه عن الاعتفار ، ففعلوا..."(القرطبي ، 205) ، وأنشد ابن الأعرابي بقوله:

وَقَائِلُهُ ذَا زَمَانٍ اعْتِقَادٍ وَمَنْ ذَاكَ يَبْقَى عَلَى الاعْتِقَادِ

وهاشم معدود في خطباء العرب وبلغائهم ، فأوامره تصدر بخطب يجمع لها قريشاً في كل موسم فيذكّرها بأحسابها وأنسابها وبما لهذا البيت الذي تخدمه من فضل ومكانة ، وبما لزواره من حق وكرامة ، ثم يمضي على بسط الأكف بالبذل لضمان راحة هؤلاء الوفود المتعبين ، فعلى سبيل المثال يذكر الباحث إحدى خطبه ، بقوله : " يا معشر قريش ، إنكم جيران الله وأهل بيته ، وإنه يأتيكم في هذا الموسم زوار الله يعظمون حرمة بيته ، فهم لذلك ضيف الله ، وأحق ضيف بالكرامة ضيف الله ، وقد خصكم الله بذلك وأكرمكم به... فأكرموا ضيفه وزواره فإنهم يأتون من كل بلد ضوامر كالقداح وقد زحفوا وتفلوا وقملوا وأرملوا فأقروهم وأغنوهم وأعينوهم" (الالوسي ، 286).

فجمع هاشم كل بني أب على الرحلتين في الشتاء إلى اليمن وفي الصيف إلى الشام للتجارة ، فما ربح الغني قسمه بينه وبين الفقير حتى كان فقيرهم كغنيهم ، ولعله أراد تمتين أواصر المجتمع المكي بتأليف قلوبهم وجعلهم جميعاً شركاء في صنع المستقبل، وقد أشار الشاعر مطرود بن كعب الخزاعي لهذه الصفة التي عند أبناء عبد مناف فذكرها بقوله (الزبعري ، 1981 ، 53):

والْخَالِطُونَ فَقِيرُهُمْ بِغَنِيِّهِمْ حَتَّى يَكُونَ فَقِيرُهُمْ كَالْكَافِي

وقال آخر :

إِلَى الْقَمَرِ السَّارِي الْمُنِيرُ دَعْوَتَهُ وَمُطْعِمٌ فِي الأَزَلِ مِنْ قَمْعِ الْجَزَرِ(*)

رابعاً :هاشم والإيلاف من خلال الروايات التاريخية :

(*) الأزل : الشدة والضيق ؛ والقمع : بفتح القاف والميم من كل شيء خياره وهو جمع ومفرده قمعة ؛ والجزر : النحر والذبح ، مصطفى صدر الدين ، مرجع سابق ، ص57.

لا شك أن ظاهرة الإيلاف كانت وليدة عوامل طبيعية وتاريخية واقتصادية ، فمكة كانت ولا تزال منطقة صحراوية لا يمكن لأهلها الاعتماد على الزراعة في عيشهم ، أما العامل الثاني والمتعلق بالجانب التاريخي فيقصد به نشوء مكة حول ماء زمزم وتطورها وعلاقة البيت الحرام بذلك(الكتاني ، د.ت ، 44).

يستشف الباحث نشأة هذا النظام من رواية ابن الكلبي سواء في صيغتها الواردة في تاريخ الطبري (الطبري ، 504)، أو في صياغتها الأكثر وضوحاً والواردة في كتاب المنمق لابن حبيب وكلاهما يسند لابن الكلبي(البغدادي ، 36)، كما توفر رواية النسب لتاريخ الإيلاف أرضية ومستنداً في علاقة الدم ، باعتبار أن أطراف الإيلاف الأربعة هم إخوة في الأصل ، ينحدرون من أب واحد هو عبد مناف(الكلبي ، د.ت ، 26) ، إلا أن المصادر المتداولة تثير إشارات لا تتناغم مع دور هاشم في الإيلاف ، على سبيل المثال ما يرد عند البلاذري وابن الأثير ، أن هاشماً توفي وعمره خمس وعشرون سنة ، وما يرد في شأن وفاته بغزة ، وأحياناً في شأن ولادته بغزة من أرض فلسطين(الاندلسي ، 330).

وإذا ما انطلق الباحث من مبدأ أن الإسناد يحيل إلى مصدر الخبر ، يمكن جمع الأخبار المنبثة في المصادر على النحو الآتي :.

يذكر الطبري أن أبناء مناف هم أول من أخذ الإيلاف لقريش بقوله: "فكانوا أول من أخذ لقريش العصم ، فانتشروا في الحرم ، أخذ لهم هاشم حبلاً من ملوك الشام والروم وغسان ، وأخذ لهم عبد شمس حبلاً من النجاشيّ الأكبر ، فاختلفوا بذلك السبب إلى أرض الحبشة ، وأخذ لهم نوفل حبلاً من الأكاسرة ، فاختلفوا بذلك السبب إلى العراق وأرض فارس ، وأخذ لهم المطلب حبلاً من ملوك حمير ، فاختلفوا بذلك السبب إلى اليمن...."(الطبري ، 504) ، ولذلك أسماها الفيروزآبادي "بحبال" ، إذ يقول : "وكان تجار قريش يختلفون إلى هذه الأمصار بحبال هؤلاء الإخوة فلا يتعرض لهم ، وكان كل أخ منهم أخذ حبلاً من ملك ناحية سفره أماناً له"(الفيروزابادي ، 1986 ، 118) ؛ وأنشد الشاعر مطرود بن كعب الخزاعي قائلاً :

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُحَوَّلُ رَحْلُهُ أَلاَ نَزَلْتَ بِآلَ عَبْدِ مَنَافِ

ويذكر ابن سعد في طبقاته أيضاً أن هاشماً كان صاحب إيلاف قريش ، وأنه أول من سن الرحلتين ، بقوله : "أخبرنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي ، عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عباس قال : كان اسم هاشم "عمراً " ، وكان صاحب إيلاف قريش ، وإيلاف قريش دأب قريش ، وكان أول من سن

الرحلتين لقريش ، ترحل إحداهما في الشتاء إلى اليمن وإلى الحبشة... ورحلة في الصيف إلى الشام إلى غزة وربما إلى أنقرة فيدخل إلى قيصر فيكرمه ، فأصابت قريش سنوات ذهبن بالأموال ، فخرج هاشم إلى الشام فأمر بخبز كثير فخبز له ، فحمله في الغرائر على الإبل حتى وافى مكة فهشم الخبز... ونحر تلك الإبل ، ثم أمر الطهاة فطبخوا ، ثم كفا القدور على الجفان(*)، فأشبع أهل مكة . فكان ذلك أول الحياة بعد السّنة التي أصابتهم فسمي هاشماً(ابن سعد ، 57) . كما وردت رواية الإيلاف في سيرة ابن هشام ، بقوله : " قال ابن إسحاق : فولي الرفادة والسقاية هاشم بن عبد مناف ... وكان فيما يزعمون أول من سن الرحلتين لقريش : رحلتي الشتاء والصيف . وأول من أطعم الثريد بمكة..."(ابن هشام ، 55).

فقال الشاعر عبد الله بن الزبعبري :

عَمْرُو الَّذِي هَشَّمَ الثُّرَيْدَ لِقَوْمِهِ قَوْمٌ بِمَكَّةَ مُسَنَّتِينَ عِجَافُ
سُنَّتْ إِلَيْهِ الرِّحْلَتَانِ كِلاَهُمَا سَفَرُ الشِّتَاءِ وَرِحْلَةُ الأَصْيَافِ

بينما ترد الرواية في كتاب المنمق لابن حبيب ، والتي يغيب فيها ذكر اليمن ، واقتصرت مهمة هاشم فيها على فتح أفق التجارة القرشية إلى بلاد الشام شمالاً ، بقوله : "أخبرنا أبو جعفر محمد بن حبيب عن ابن الكلبي قال : كان حديث الإيلاف أن قريشاً كانت تجاراً وكانت تجارتهم لا تعدو مكة ، إنما يتقدم عليهم الأعاجم بالسلع فيشترون منهم ثم يتبايعونه بينهم ويبيعون من حولهم من العرب ، حتى ركب هاشم بن عبد مناف إلى الشام فنزل بقيصر... ، فكان يذبح كل يوم شاة فيصنع جفنة ثريد ويدعو من حوله فيأكلون... وبلغ ذلك قيصر فدعا به... ، فلما رأى مكانه منه ، قال له هاشم : أيها الملك ! إن لي قوماً وهم تجار العرب فإن رأيت أن تكتب لهم كتاباً تؤمنهم وتُؤمن تجاراتهم فيقدموا عليك بما يستطرف من أدم الحجاز وثيابه فيكونوا يبيعونه عندكم فهو أرخص عليكم ، فكتب له كتاباً بأمان من أتى منهم ... ، فقال الحارث بن خنش (البغدادي ، 34):

إِنَّ أَخِي هَاشِماً لَيْسَ أَخاً وَاحِدٌ وَاللهِ مَا هَاشِمٌ بِنَاقِصٍ كَأَسَدٍ
وَالْخَيْرُ فِي ثَوْبِهِ وَحُفْرَةُ اللاَّحِدِ الآخِذِ الإِلْفِ وَالْوَافِدِ لِلْقَاعِدِ"

وقال في ذلك أيضاً وهب بن عبد قصي بن كلاب :

(*) جفان سُليمان عليه السلام أولى بأن يُتمثل بها ، لقول الله عز وجل في وصفها ، ﴿ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ ﴾ ، سورة سبأ ، الآية : 13.

تَحَمَّلَ هَاشِمٌ مَا ضَاقَ عَنْهُ وَاعِياً أَنْ يَقُومُ بِهِ ابْنِ بِيضِ
أَتَاهُمْ بِالْغَرَائِرِ مَتَأَقَّاتٍ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ بِالبُرِّ النَّفِيضِ
فَأَوْسَعُ أَهْلُ مَكَّةَ مِنْ هَشِيمٍ وَشَابِّ الْخُبْزِ بِاللَّحْمِ الْغَرِيضِ
فَظَلَّ الْقَوْمُ بَيْنَ مُكَلَّلاتٍ مِنَ الشِّيزَى وَحَائِرُهَا يَفِيضُ(*)

ويذكر ابن حبيب أيضاً في هذا السياق بأن أخوة هاشم (المطلب،عبد شمس،نوفل) ، قاموا بفتح الوجهات الأخرى كآفاق للتجارة القرشية بعد وفاة أخيهم هاشم ، مما يعني أن مبادرة هاشم لم تتزامن مع عمل إخوته ، بقوله : " فلما مات هاشم خرج المطلب بن عبد مناف إلى اليمن فأخذ من ملوكهم عهداً لمن تجر قبلهم من قريش ، ثم أقبل يأخذ الإيلاف ممن مر به من العرب حتى أتى مكة على مثل ما كان هاشم أخذ...، وخرج عبد شمس بن عبد مناف إلى ملك الحبشة فأخذ منه كتاباً وعهداً لمن تجر قبله من قريش ، ثم أخذ الإيلاف ممن بينه وبين العرب حتى بلغ مكة ..... ، وخرج نوفل بن عبد مناف... إلى العراق فأخذ عهداً من كسرى لتجار قريش ، ثم أقبل يأخذ الإيلاف ممن مر به من العرب حتى قدم مكة" (البغدادي ، 36).

تكاد تجمع كتب التاريخ والتفسير على أن بني عبد مناف الأربعة هم الذين أخرجوا تجارة قريش من نطاقها المحلي إلى نطاقها العالمي ، وإن كانت نصوص الروايات تحوي خلافاً لا يغير من المضمون شيئاً ، إلا أن جواد علي قلل من أهميته وأثره في ازدهار التجارة القرشية ، فذكر موضوع ذهاب الإيلافيين على إنه موضوع طبيعي لا داعي إلى إثارة الشك حوله ، أما أنهم التقوا بقيصر وبكسرى وبالنجاشي وبتبابعة اليمن ، وتعاقدوا وتعاهدوا معهم ، يذكر بأنها قضية أخرى فيها نظر ، ويستطرد قائلاً : أنه تعود سماع مثل هذا القَصص من الإخباريين ، وجل ما يتصوره فيما لو صدق الخبر ، هو أن أولئك الأخوة قد قابلوا بعض موظفي الحدود وتصادقوا معهم وقدموا لهم بعض الهدايا ، فصاروا يتساهلون معهم في جباية الأعشار وفي أخذ حقوق المرور فشاع بين قومهم أنهم تعاقدوا مع أولئك الملوك(جواد علي ، 1967م ، 303)، وعلى هذا الأساس ينفي جواد علي ما ذكره ابن حبيب في روايته السابقة ، بقوله : " لم يكن الإيلاف إيلافاً مع الروم أو مع الفرس أو مع الحبشة ، وإنما كان مع سادات القبائل ، فبفضل العقود والعهود التي عقدها هاشم وإخوته مع سادات العرب أمكن مرور قوافل مكة بأمن وسلام ، ولولا هذه العقود التي جبرت

(*) الشيزي : خشب اسود تتخذ منه القصاع ، الثعالبي ، مصدر سابق ، ص609 ؛ البغدادي ، المنمق في أخبار قريش ، ص104.

قلوب سادات القبائل بتقديم حقوق مرور لهم ، أو بإشراكهم في مال القافلة ، لما كان في إمكان قريش ضبط أولئك الأعراب ومنعهم من التحرش بقوافلهم ومرورها إلى الأسواق بأمن وسلام".

يعزز عرفان حمور ما وصل إليه جواد علي ، بقوله : فاتفاقاتهم مع رؤساء القبائل كانت تأليفاً لهم على خفارة قوافل قريش وتجارتها ، أو بإعطائهم نصيباً من الأرباح ، أو استعمالهم إبلهم لنقل المتاجر ورجالهم في خفارتها بأجور معينة(حمور ، 1999م ، 202).

إلا إن الباحث لا يرجح ما وصلا إليه ، فمن المرجح أن العقود والعهود التي تم ذكرها ما هي إلا تعزيزاً للعصم والحبل الذي أخذه هاشم من قيصر وفتحه أفق التجارة القرشية لبلاد الشام واليمن والحبشة وبلاد فارس ، مستنداً إلى رواية الإيلاف لابن حبيب ، بقوله : "فأقبل هاشم بذلك الكتاب فجعل كلما مر بحي من العرب بطريق الشام أخذ من أشرافهم إيلافاً ، والإيلاف أن يأمنوا عندهم في أرضهم بغير حلف ، وإنما هو أمان الناس ... ، فأخذ هاشم الإيلاف مما بينه وبين الشام حتى قدم مكة ..."(الشعافي ، 2008 ، 104.105) ، بالإضافة إلى ما ذكره الأندلسي في شأن مقابلة هاشم لقيصر وإعجابه به ، بقوله : "ولما رحل في شأن الإيلاف على قيصر ، قال له قيصر : وما قدر الحاجة إليكم حتى نتكلف لكم هذه الذمة ؟ ؛ قال : ليس كل من يحسن إليه الملك يكون الملك محتاجاً لما عنده ، ولو كان ذلك لقل إحسان الملوك ؛ ولأن نأتيك بوجه الضراعة والحاجة إليك خير من أن نأتيك بوجه الاستغناء عنك والدالةً عليك ! ففسر له كلامه فأعجبه ، وأمضى له ما أحب" (الاندلسي ، 330).

فالإيلاف في أساسه يمكن تقسيمه إلى قسمين : أولهما عقود أُبرمت مع ملوك الأطراف الأربعة مفادها السماح للتجار المكيين تسيير رحلاتهم التجارية في أسواق الشرق ، أما الآخر فهو اتفاق مع زعماء القبائل الواقعة على طرق التجارة لحماية قوافلهم من جهة ، وإشراكهم في التجارة من جهة أخرى ، وكلاهما مرتبط بالآخر ومكمل له في نفس الوقت(الشعافي ، 105) . وفي هذا الموضوع يذكر العمادي ، بقوله : لما تم لهاشم الاتفاق مع قيصر ، اجتهد مع القبائل النازلة على الطرق التجارية المؤدية إلى بلاد الشام والفرس واليمن وكذلك الحبشة ، على عقد عهود تبيح له ولقومه المرور بأرض تلك القبائل دون دفع أتاوة كبيرة ، مقابل قيام قريش بكل الأعمال التجارية اللازمة لهذه القبائل فتأتيهم بما يلزمهم من البضائع ، وكذلك تقوم قوافل قريش بحمل ما تريد القبائل بيعه من منتجاتها المحلية ، مثل التمر والصوف وبعض المعادن والأعشاب الطبية ، وكذلك كان من ضمن الاتفاق التصاهر معهم ودعوتهم إلى مكة ،

وكذلك إرضاء بعض رؤساء هذه القبائل بتعيينهم أمراء على القوافل التجارية ، فهو بهذا الإيلاف وضع قواعد وأصول مرور قوافل مكة وتجارتها في كل الأيام والمواسم بأمن وسلام (العمادي ، 1997م ، 50).

ويبدو أن يقظة هاشم تأبى له أن يجتزئ بهذا المقدار من العمل فإنه يعلم أن الحلف وحده لا يأتي بكل الغرض المنشود ، ذلك أن قيصر إذا أجاز لقريش أن تختلف إلى الشام وتوسط لها أن تختلف إلى الحبشة بمثل ما تختلف إلى بلده ، فمن يمنع هذه القبائل الممتدة في الصحراء أن تملك السبيل على هذه التجارة ، فتسلب أعيانها وأموالها أو تلتحم مع حراسها وجنودها بمعارك تجعل التجارة جحيماً، والأسفار إليها عذاباً ، فكان عليه أن يكتسب قيصر هذا الحلف . وقد فعل . ثم كان عليه أيضاً ضمان سلامة القوافل والعير حين تقبل من الحجاز إلى الشام وحين تعود ، وإذا لم يضمن الثانية فإنه لا يصنع شيئاً من الأولى ، فماذا هو صانع(الشعافي ، 106).

يذكر بيضون أن الإيلافيين لم ينجحوا في تشكيل مؤسسة تعاونية غير متناقضة الأهداف والمصالح ، على نحو يتطابق مع مضمون الإيلاف الرامي إلى توفير الرزق والاستقرار للمكيين ، وفي رأيه أن نظام الإيلاف الذي فرضته طبيعة المجتمع الاقتصادية ، كانت الثغرة الأساسية فيه افتقاده للإطار السياسي العام ، الذي افترض أن يكتسب طابعاً عملياً من التمثيل(بيضون ، 1983م ، 214)، كما شكك فيكتور سحاب في الشكل الذي تعطيه الروايات لأدوار الإخوة الأربعة وتوزعهم ، ويذكر أن من شروط هذا التوزيع وجود جهاز مركزي أسند إلى كل منهما دوراً ، ملمحاً إلى استحالة وجود هذا الجهاز لأن التطور السياسي القرشي مازال في مراحله الأولى ، إلا أنه في نفس الوقت لم يبتعد عن الرأي السابق كثيراً حين قال :"إن الإيلاف كان حلفاً وعقداً ثنائياً من صنفٍ جديدٍ تضْمنُ بموجبه القبائل القاطنة على طول الطريق التجارية حق المرور لقوافل قريش مروراً حراً عبر ديارها ، لقاء حمل قريش منتجات هذه القبائل على أن تُعيد لهم رأس مالهم المستثمر في هذه البضائع والربح المجاني ، فالإيلاف حسب قوله كان غرضه إشراك القبائل وزعمائها في مكاسب تجارة قريش ، وكانت تلك خير وسيلة لضمان مسالمة القبائل ، لكنه رغم شكه هذا واصل استثمار الرواية باعتبارها شاهدة على التحول المتمثل في الإيلاف الذي يمثل في جانبه الاقتصادي والاجتماعي ، أحد أشكال التطور في السلطة من الفردية في عهد قصي إلى الأقلية في عهد هاشم وحلفائه(سحاب ، 214).

خامساً : تحديد زمن نشأة الإيلاف :

يذكر فيكتور سحاب أن تعيين زمن أنشاء الإيلاف أهم بكثير من منشئه ، إلا أن الباحث يواجه مشكلة عدم وجود مستندات مكتوبة في هذا الشأن ، كما أن المصادر العربية لا تذكر نصوص الكتب التي قيل إن الملوك كتبوها لقريش لتسيير رحلاتها التجارية(سحاب ، 210).

يذكر احمد ابراهيم الشريف من خلال دراسته أن العهود "الإيلاف" حدثت في زمن واحد بقوله : "فإنه في الوقت الذي اتصل فيه المطلب بن عبد مناف بأقيال اليمن ، اتصل أخوه عبد شمس بالنجاشي ، وأبرم معه اتفاقاً مماثلاً ، ومنذ ذلك الحين أصبحت الحبشة لقريش وجهاً ومتجراً"(الشريف ، 1965م ، 157)، ويذكر أيضاً : "وفي الوقت الذي حصلت فيه مكة على عهود من الحميريين والأحباش على غشيان بلادهم للمتاجرة ، حصل أحد زعماء مكة هاشم بن عبد مناف على عهد من الغساسنة والروم على المتاجرة في أرض الدولة البيزنطية" ، ويستطرد قائلاً : "في نفس الوقت الذي حصلت فيه مكة على عهود من الروم والحبشة واليمن للمتاجرة في بلادها ، حصل... نوفل ، على عهد مماثل من كسرى للمتاجرة في بلاد الدولة الفارسية" (الشريف ، 163) ، إلا أن صالح دراركة كان له رأي مخالف تماماً لما ذكره الشريف ، بقوله : " إن سفارات أبناء عبد مناف إلى البلدان ، إنما كانت بعد عودة هاشم من الشام ، ويذكر أيضاً أن إخوة هاشم قاموا بعملهم هذا بعد وفاة هاشم"(دراركة ، 57).

يعزز فكتور سحاب في دراسته للإيلاف ما ذكره دراركة ، بقوله : " من المنطقي أن الاتفاق التجاري مع الإدارة البيزنطية جرى في زمن غير زمن الاتفاق مع اليمن أو مع الحبشة أو الحيرة ، ويستطرد قائلاً : إن المصادر العربية نفسها توحي أن هاشماً لم يخرج إلى الشام وفي نيته عقد الإيلاف ؛ فليس من المرجح أن تكون قريش قد خططت للمشروع في كل تفاصيله ، ثم أوفدت موفديها الأربعة كلاً إلى جهته في المهمة ذاتها " (سحاب ، 211)، كما يعتقد أن هاشماً أراد تحسين وضع التجار القرشيين لدى الإدارة البيزنطية في الشام ، ولما رأت قريش نجاح الفكرة سعت إلى توسيع تجارتها وتحسين شروطها مع ملوك الأطراف الآخرين ، فوفد إخوة هاشم كل إلى مكان تجارته لترتيب الأمر . وهذا يعني أن الإيلاف لم ينشأ كله في سنة واحدة ، بل تكوّن نظامه واتسع نطاقه تدريجياً ، يتفق الباحث مع ما وصل إليه دراركة وفيكتور مستنداً إلى رواية اليعقوبي ، بقوله : "ولما هلك هاشم بن عبد مناف جزعت قريش ، وخافت أن تغلبها العرب ، فخرج عبد شمس إلى النجاشي ملك الحبشة ، فجدد بينه وبينه العهد ، ثم انصرف ، فلم يلبث أن مات بمكة ودفن بالحجون ، وخرج نوفل إلى العراق ، وأخذ عهداً من كسرى ، ثم أقبل ، فمات بموضع

يقال له سلمان ، وقام بأمر مكة المطلب بن عبد مناف" (اليعقوبي ، 1960م ، 244)، وأنشد مطرود الخزاعي قائلاً:

إِنَّ المُغِيرَاتِ وَأَبْنَاءَهُمْ لَخَيْرُ آبَاءٍ وَأُمَّهَاتِ
لِلْبِيضِ فَيْضٌ كُلُّهُمْ سَيِّدٍ أَبْنَاءُ سَادَاتٍ لِسَادَاتِ
قَبْرٌ بِرَدْمَانٍ وَقَبْرٌ بِسَلْمَانَ وَقَبْرٌ عِنْدَ غَزَّاتٍ
وَمَيِّتٌ مَاتَ قَرِيباً لَدَى الْحُجُونِ مِنْ شَرْقِ الثَّنْيَاتِ

إلا أن الباحث لا يتفق مع ما اعتقده فكتور من أن هاشماً أراد تحسين حال التجار القرشيين لدى بيزنطة ، وفي هذا الموضوع يرجح الباحث أن السبب الرئيسي للإيلاف هي السّنة التي أصابت سكان مكة في عهد هاشم وخروج أهلها إلى الاعتفار (الشعافي ، 108)، كما أن قريش قد انقطعت عند البيت ، وكانت العرب التي حولها تمنعهم من الخروج في طلب المعاش ، ولم يكن لهم عيش إلا ما يأتي به الموسم أيام الحج ، فلما نشأ بنو عبد مناف المذكورون أخذوا العرب بالسياسية والمهاداة إلى أن انقادوا إليهم (الاندلسي ، 329).

أما بخصوص تحديد الفترة الزمنية التي حدث فيها الإيلاف يوجه فكتور سحاب اهتماماً كبيراً إلى مسألة التاريخ الدقيق الذي يمكن أن يكون حدت فيه الإيلاف ، ويخمن أن تكون العهود قد تمت حوالي سنة 467 م ، لكنه لا يطرح مسألة العناصر البشرية التي شاركت فيه (سحاب ، 211)، إلا أن دراركة يرجح حدوث هذا التحول الكبير في مطلع القرن السادس الميلادي ، لأن هاشماً على الأغلب توفي في هذه الفترة ، مستنداً إلى ما ورد عند الأندلسي والتي تشير إلى أنه كان معاصراً الملك الفارسي قباد بن فيروز 488م –531م ، الذي تزندق وأتبع مذهب مزدك ، ويستطرد قائلاً : ومن الحوادث الثابتة في التاريخ لقاء عبد المطلب لأبرهة الحبشي عام الفيل ، وهو العام الذي ولد فيه الرسول الكريم (محمد صلى الله عليه وسلم) ، عام 570م ، ويذكر دراركة أن عبد المطلب كان حينذاك شيخاً وقوراً ، أي عمره ما بين 60–70 سنة . وهذا يرجح صحة تحديد تاريخ الإيلاف في مطلع القرن السادس الميلادي (الشعافي ، 109) ، يتفق فيكتور مرة أخرى مع الشريف في مسألة تحديد الفترة التي نشأ فيها الإيلاف ، فقد توصل كل منهما إلى أن هاشماً أخذ الإيلاف في أوائل القرن السادس الميلادي ؛ فيرجعها فيكتور إلى حاجة بيزنطة إلى تنظيم هذا الشأن الخطير لضمان تدفق السلع التجارية الشرقية (سحاب ، 212)، أما الشريف فيرجح أن مكة قد استفادت من الاضطراب الذي حدث في شبه الجزيرة العربية والمتمثل في

الصراع القائم بين الفرس وبيزنطة ، لتحتل مركز الوسيط المحايد لنقل التجارة من الشمال إلى الجنوب ، بالإضافة لبعدها عن نفوذ الدولتين (الشريف ، 204).

وثق هاشم أيضاً صلاته الداخلية ، بأن أصهر إلى العديد من القبائل الكبيرة المشهورة ، فتزوج سلمي بنت عمر بن زيد سيد بني عدى بن النجار ، من الخزرج بيثرب ، وكذلك تزوج هند بنت عمر من بني الخزرج ، وتزوج أيضاً : أم قيلة التي كانت تلقب "الجزور" بنت عامر بن مالك بن جديمة ، وتزوج أميمة بنت عدى من قضاعة ، وواقدة أم "عبد الله" بنت أبي عدي ، وعدي بنت حبيب بن الحارث وهو من ثقيف ، حتى صار الإصهار إلى كبريات القبائل من بعد هاشم سنّة اتبعها خلفائه من بناة الدولة المكية مثل ابنه عبد المطلب ، وحفيده محمد رسول الله (**صلى الله عليه وسلم**) ، الذي تحقق على يده الحلم وتحول إلى واقع وبرزت إلى الوجود دولة الإسلام(ابن سعد ، 88).

وبفضل اتباع سياسة تأليف قلوب القبائل ، بإشراك سادتها في تجارة قريش ، أو إعطاء سادتها جعالة مرور ، أو بإكراء إبلها لنقل تجارة قريش ، تمكنت قريش من تأليف قلوب سادات القبائل ، فأمنت على نفسها وصارت قوافلها تخرج في أي وقت شاءت من أوقات السنة في الشهور الحل أو في الشهور الحرم ، لا تخشى بأساً ، حتى أنها صارت تعطي أمانها لغيرها وبذلك ألفت القبائل الأخرى التي لم تكن لها عقود وإيلاف وحبال مع القبائل المحالفة لقريش ، فصارت تحمل كتاب أمان قريش وشعارها ، وهو ما عضد من شجر الحرم يوضع حول العنق ، على ما يزعم أهل الأخبار ، فيكون جواز سفر وكتاب مرور(جواد على ، 304) ، وبهذا النظام حول هاشم مسبعة الطريق الضارية إلى أمن ، وبدل تهاويل الصحراء الفاتكة إلى طمأنينة واستقرار ، يمر فيها من كان بالشام وأنقرة ، ثم من مكة أيضاً إلى اليمن والحبشة ، وبالتجارة القرشية ظهرت مكة إلى حيز الوجود وأصبحت الوسيط الوحيد في نقل التجارة منها واليها.(Walter. W. Muller , P. 131.)

سادساً : علاقات مكة الخارجية:

1:علاقة مكة بالجنوب (اليمن والحبشة):

ترجع علاقة مكة بالجنوب إلى أيام دولة قتبان (القرن 11 ق.م. 25 ق.م) ، ومعين (1300 ق.م. 650 ق.م) ، وسبأ (800 ق.م . 115 ق،م) ، وحمير (115 ق.م . 525م) ، وذلك لغنى أراضيها بالمعادن الثمينة ،كما تذكر الروايات أن التبع أسعد أبا كرب الحميري كان أول من كسا البيت الحرام

وأوصى بتعظيمه وكسوته (الازرقي ، 1983م ، 249)، وقد كانت القبائل اليمنية هي أول من سكن مكة ، كقبيلة جرهم ثم تلتها قبيلة خزاعة والتي هي فرع من الأزد كان لها الدور الأكبر في عمارة مكة وتنشيط الحج إلى بيتها الحرام (الشريف ، 38).

أما بخصوص العلاقات التجارية في عهد قريش مع اليمن ، فإن الاتصالات كانت قائمة بين أحد رؤساء مكة وبين أقيال اليمن الحميريين إلى أن عقدت قريش معهم إيلافاً بقيادة المطلب بن عبد مناف ، والذي ينص على أن تقوم قريش بالمتاجرة في أرضهم ، وتتحدث الروايات عن ذهاب عبد المطلب بن هاشم على رأس وفد من رجال مكة لتهنئة سيف بن ذي يزن بعد انتصاره على الأحباش ، وربما كان قدوم هذا الوفد تعبيراً عن الابتهاج بهزيمة الحبشة التي كانت قد غزت مكة من قبل (الشريف ، 39)، يؤكد ذلك حديث عبد المطلب في قصر غمدان بمدينة صنعاء لسيف بن ذي يزن ، بقوله : " أيها الملك . نحن أهل حرم الله ، وسدنة بيته ، أشخصنا إليك الذي أبهجنا من كشف الكرب الذي فدحنا . ونحن وفد التهنئة لا وفد المرزئة"(*)، ويشير أيضاً الجاحظ في إحدى رسائله والتي خصصها في مدح التجار وذم عمل السلطان ، بقوله على لسان كاهنة اليمن :" لله درُّ الديار لقريش التجار ، وليس فوقهم قرشي كقولهم هاشمي وزهري وتميمي ، لأنه لم يكن لهم أب يسمى قريشاً فينتسبون إليه ، ولكنه اسم اشتق لهم من التجارة والتقريش" (عكاوي ، 1992م ، 177)، ويذكر أيضاً أنه وجد نقش مكتوب على بعض الآثار في بلاد اليمن مفاده أن قريشاً أصبحت تضارع بشهرتها في المجال الدولي شهرة حمير وفارس والحبشة : "لمن ملك ذمار. لحمير الأخيار . لمن ملك ذمار . للحبشة الأشرار . لمن ملك ذمار . لفارس الأحرار . لمن ملك ذمار . إلى قريش التجار" (ابن هشام ، 66).

أما فيما يخص علاقة مكة بالحبشة فقد أكدت الكشوفات الأثرية على عمق الصلات العربية الأكسومية(**)، وخاصة بعد أن عثرت بعثة ألمانية عام 1905م أثناء تنقيبها في منطقة أكسوم في الحبشة على بعض المسلات التي تحمل رسوماً ترمز إلى عبادة الشمس التي كانت سائدة في جنوب الجزيرة في تلك الفترة ، كما تم العثور على تمثال حجري ذي ملامح شرقية وجد عند قدميه كتابات بلغة عرب الجنوب (

(*) المرز: العيب والشين ، الأزهري ، مصدر سابق ، ج13 ، ص209 ؛ ممتاز العارف ، الأحباش بين مأرب وأكسوم ، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت ، 1975م ، ص ص69- 70.

(**) أكسوم : مدينة تقع في الجزء الشمالي من هضبة الحبشة ، فتحي غيث ، الإسلام والحبشة عبر التاريخ ، شركة الطباعة المتحدة ، صنعاء ، د.ت ، ص5.

مطر ، 1991م ، 39)، ويكفي في إثبات هذا ما ذكره الأصفهاني بقوله : " وكانت أرض الحبشة لقريش متجراً ووجهاً" (الاصفهاني ، 1997م ، 55).

وأزداد الترابط التجاري بعد أن تدفقت تجارة قريش إلى المجال الخارجي ، عقد عبد شمس بن عبد مناف حلفاً مماثلاً مع النجاشي ، ومنذ ذلك الوقت أصبحت الحبشة متجراً لقريش، فهي مصدر من مصادر التجارة الشرقية لما تنتجه من البخور واللادن والطيب وريش النعام والعاج Diodorus Of Sicily) والجلود والتوابل ، فضلاً عن كونها المصدر الرئيسي لتجارة الرقيق(p5 .

لم تقتصر صلة العرب ببلاد الحبشة على المدن الساحلية فقط وإنما توغل التجار داخل البلاد الحبشية ، فكلما صادفوا مزيداً من الخصب واعتدالاً في الجو شجعهم على التوغل والاستقرار ، كما احتوت أشعار العرب على بعض الأدلة التي تؤكد اتصال العرب ببلاد الحبشة واشتغالهم بالتجارة ، كقصيدة الأعشى ميمون(*)، التي قال فيها :

وَقَدْ طِفْتُ أَفَاقَةَ عُمَانَ فَحُمُّصٌ فَأَوْرَشَلِيمِ

أَتَيْتُ النَّجَاشِي فِي أَرْضِهِ وَأَرْضُ النَّبِيطُ وَأَرْضُ الْعَجَمِ

ومنذ ذلك الوقت حظيت مكة وبيتها الحرام بنفوذ كبير بين عرب الجنوب ، الذين فقدوا استقلالهم وتطلعوا بدافع القومية إلى البلد العربي المستقل ، فعندما جهز أبرهة حاكم اليمن لغزو مكة غضبوا غضباً شديداً ، وتصدت له بعض القبائل اليمنية وقاتلته ، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على عمق الترابط والتواصل بين مكة وأهل اليمن (خبيري ، 2004م ، 15)، وعلى الرغم من قيام الأحباش بهذا العمل العدواني على مكة ، إلا أن العلاقات الطيبة ظلت قائمة بين البلدين ، لحاجة كل منهما إلى الآخر ، ثم ازدادت العلاقات الخارجية المكية الحبشية عندما لم يجد الأحباش البديل في نقل تجارتهم إلى الجزيرة العربية ، حيث أنه لم يكن من المستطاع أن تخلق تجارة مع الفرس أعدائهم وأعداء حلفائهم الروم (العمادي ، 70)، والتي استمرت حتى أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم المهاجرين الأولين من الصحابة إليها، وما كان إرسال النبي صلى الله عليه وسلم إلا لمعرفة سابقة بها (الرشيد ، 1979م ، 226).

2:علاقة مكة بالشمال :

(*) ميمون بن قيس : كان أعمى ويكنى بأبي بصير ، شاعر جاهلي ، أدرك الإسلام في آخر عمره ، رحل إلى النبي (ص) ، فقيل له إنه يحرم الخمر والزنا والقمار ، فقال : أتمتع بها هذا العام ثم أسلم ، فمات قبل ذلك ، للمزيد ينظر : ابن قتيبه ، الشعر والشعراء ، ج1 ، دار الثقافة ، ط4 ، بيروت ، 1980م ، ص178.

أما علاقة مكة بالشمال فهي قديمة ترجع إلى أيام النبط ، الذين كانوا يقومون على التجارة في شمال بلاد العرب ، إذ كانت البتراء عاصمتهم المركز التجاري الرئيسي لطرق القوافل بين غزة وبصرى وما بين دمشق وأيلة ، فقد عمل أهل الحجاز على تعظيم شأنهم معهم من خلال وضع العديد من التماثيل لأرباب كانوا يعبدونها داخل الكعبة ،كما استقدموا إلى الحجاز آلهة أخرى منها اللات ، العزي(**)، ومناة(***)، ويبدو أن نقل هذه الأصنام من بلاد النبط إلى مكة كان وسيلة من الوسائل لتعظيم شأن الكعبة عند أهل الشمال من جهة ، وإيناسهم بها كلما رحلوا إلى الحجاز من جهة أخرى ، بالإضافة إلى تقريب ما بينهم من شعائر البيت الحرام ، ولما قدم قصي إلى مكة جمع قريش ونازع بها خزاعة للاستيلاء على مكة ، استعان بقضاعة وهي إحدى القبائل التي كانت تقيم في بادية الشام وتخضع للغساسنة الذين كانوا تحت النفوذ البيزنطي(الشريف ، 106).

وكان للنبط أسواق في جزيرة العرب وكانوا يجلبون من الشام أمتعتها ، ويحملون إليها من الجزيرة نتاجها خاصة الزيت ودقيق الحواري(*)، ويرتادون العراق أحياناً ويرجعون منه بالتمر والأدم ونحوها من حاصلات تلك البلاد ، وكان أشهر أسواقهم في يثرب ، بل إن لهم سوقاً فيها عرف باسمهم ذكره ابن سعد في معرض حديثه عن هاشم بن عبد مناف في بعض أسفارة إلى يثرب بقوله : " نزل هاشم بسوق النبط فصادف سوقاً تقوم بها في السنة يحشدون لها "(ابن سعد ، 58).

كانت قريش على علاقة وثيقة مع الشام لدرجة أن الروم كانت هي الأخرى حريصة على أن تظل علاقتها التجارية مع قريش وطيدة حتى لا تفقد ما تجلبه إليها وما تأخذه منها ، ولكن بيزنطة حتى مع ارتباطها مع العرب من الناحية التجارية ، لم تكن تقبل التفاوض مع العرب على مبدأ الباب المفتوح ، فقد كانت ترى كل غريب عنها عيناً يجب مراقبته عن كثب لذلك كانت المعاملات التجارية مع العرب تتم على حدود بلاد الشام ، مع عدم السماح لهم بالإقامة والتجارة إلا في عدد ثابت من مدن الشام مثل

(**) ورد ذكره في القران الكريم في سورة النجم ، الآية:19، وأما الذي اتخد العزى على رواية ابن الكلبي فهو ظالم بن أسعد ، وقد ذُكر أن العزى شجيرات ، وقيل أنها حجر أبيض ، فلقد كانت قريش تخصها دون غيرها بالزيارة والهدايا ، للمزيد ينظر :محمد إبراهيم الفيومي ، تاريخ الفكر الديني الجاهلي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1994م ، ص417.

(***) وهو من الأصنام المذكورة في القران الكريم في سورة النجم الاية :20 ، وموضع مناة بالمشلل على سبعة أميال من المدينة ، للمزيد ينظر : جواد علي ، المفصل ، ج6 ، ص247.

(*) الحواري : لُباب الدقيق ، وكل ما حُور أي بُيض من الطعام ، للمزيد ينظر: سعيد الأفغاني ، اسواق العرب في الجاهلية والاسلام ، مكتبة العروبة ، للنشر والتوزيع ، الكويت ، ط4 ، 1996م ، ص22.

بصرى وغزة والقدس (سالم ، 13)، وماقول هاشم الآنف الذكر لقيصر وهو : "أيها الملك إن قومي تجار العرب فإن رأيت أن تكتب لي كتاباً تؤمن..."(البغدادي ، 171) ،إلا دلالة واضحة على مدى استفادة الروم من السلع الحجازية المتمثلة في الأدم والحرير ألخ... ، لأنها تباع أرخص من غيرها ، بل أن من ذهب إلى أن اعتماد الروم على تجارة العرب كان عظيماً في كثير من شؤونهم (امين ، 1967م ، 13). وقد حاولت الإمبراطورية البيزنطية بعد أن ورثت المشرق الاستيلاء على طريق التجارة عبر الحجاز ، الذي كان في يد خصومهم الفرس ، وعندما حصل هاشم بن عبد مناف على العصم من الروم والغساسنة بالمتاجرة في أرض الدولة البيزنطية وازدياد مكانة مكة التجارية في الجزيرة ، الأمر الذي جعل الروم يفكرون في بسط نفوذهم على مكة والسيطرة على طريق الحجاز والاتصال المباشر بمنابع التجارة الشرقية ، ولعدم مقدرة جيوشهم والمجازفة ودخول الصحراء والوصول إليه اتخذوا من الحبشة حليفة لهم لتقوم بهذا الدور ، ولا شك أن فشل حملة أبرهة الحبشي على مكة ، جعل الروم يفكرون في عمل محاولة سياسية أخرى عسى أن تلقى نجاحاً بين عرب الحجاز بتمليك سيد من العرب على مكة ، فارتضى قيصر رجلاً من ساداتها هو عثمان بن الحويرث ، وهو ممن تمردوا على الوثنية وبحثوا عن ديانة أخرى أفضل منها ، الذي ملكه على مكة ومنحه براءة بذلك ، وكتب له كتاباً يبلغها قومه (Henri p. 87)، لكن القرشيين كانوا قد ارتضوا لحكم مكة نوعاً من الحكومة ألغوا فيها الرياسة الفردية ، فقد التزموا موقف الحياد كعادتهم ، فلم يقبلوا زعامة الحويرث عليهم إذ ليس من مصلحة مكة أن ترتبط ارتباطاً خاصاً بأي من المعسكرين المتعاديين.

أما علاقة قريش بمصر فالمصادر تشير إليها إشارات طفيفة ، إلا أنها تثبت تلك العلاقة ولكنها لا تحدد مداها ، فهناك نصان ذكر أحدهما ابن سعد بقوله :" إن نفراً من بني مالك أجمعوا على الوفود إلى المقوقس وأهدوا له الهدايا(ابن سعد ، 285)، وثانيهما "إن ابن جدعان أتى مصر ببضاعة ورجع إلى عكاظ"(الافغاني ، 25).

3:علاقة مكة بالفرس والحيرة :

لقد رسمت كتب الأدب والتاريخ صورة عن التبادل التجاري بين العرب والفرس وغيرهم من الأمم الأخرى ، فقد كانوا يتاجرون معهم ويشترون منهم ويبيعونهم ، ويرسلون القوافل بأسمائهم إلى العربية الجنوبية لبيع ما تحمله في أسواقهم ولشراء سلع العربية الجنوبية ، ويحملونها إلى أسواق العراق (لويس ،

1950 ، 19)، وقد كان ملك الفرس وملوك الحيرة يوكلون حراسة قوافلهم إلى جماعة يختارونهم من سادات القبائل العربية المهابين المعروفين ، مقابل جعل يدفعونه لهم (ابوشارب ، د.ت ، 129).

كما ذكر المؤرخون أن الأوائل من ملك فارس كانت تحج الكعبة وتهدي إليها ، فقد ذكر السهيلي في كتابه بقوله : "أن الأسياف والغزلان كان ساسان ملك الفرس أهداها للكعبة وقيل سابور" (السهيلي ، 177)، والظاهر أن قريشاً كانت تعرف الشام معرفة جيدة ، وكانت تأمن فيها ولذلك فإن حرب بن أمية خرج إليه ومكث فيه عشر سنين حينما نافره هاشم بن مناف فنفر عليه (البغدادي ، 105).

تعززت هذه العلاقة أكثر مما هي عليه في السابق بعد حصول أحد أطراف الإيلاف الأربعة والمتمثلة في شخص نوفل بن عبد مناف على العصم من كسرى للمتاجرة في بلاد الفرس ، إلا أن هذه العلاقة لم تكن بنفس القوة التي كانت بين مكة والبلاد الأخرى ، لأن الفرس كان اتصالهم بالتجارة الشرقية اتصالاً مباشراً ، كما أن تجارة الفرس مع الجزيرة العربية كانت بيد الحيرة التي كانت تتسلمها ثم تجيزها إلى أسواق العرب مقابل جعل تدفعه لرؤساء القبائل لحماية هذه التجارة ، ويذكر أن ملوك الحيرة أنفسهم كانوا يرسلون متاجرهم إلى أسواق مكة كل عام في حماية بعض القبائل العربية ، وفي الوقت نفسه كانت قوافل قريش تحط بتجارتها في الحيرة ، ويقال أيضاً أن قريشاً تعلمت الكتابة العربية من أهلها (George p.43) ، فهذا النعمان بن المنذر ملك الحيرة كان يبعث إلى سوق عكاظ في كل عام لطيمة[*] في جوار شريف من أشراف العرب يجيزها له حتى تباع هناك ، ويشترى له من أدم الطائف ما يحتاج إليه ، وكثيراً ما كان يتعدى على هذه اللطيمة وتنهب (ابن الاثير ، 359).

بهذه العلاقات التجارية الواسعة التي عقدتها مكة داخل الجزيرة وخارجها ، والتي ربطت مصالح هذه القبائل الاقتصادية بمصلحتها ، خرجت مكة من عزلتها إلى المجال الخارجي ، واستطاعت أن تحتل دور الوسيط التجاري بين الدول المجاورة للجزيرة العربية ، ومع مرور الزمن أخذت تسيطر شيئاً فشيئاً على التبادل التجاري بين الشمال والجنوب ، حتى عظمت قوافلها لتبلغ القافلة الواحدة خمسمائة وألفي بعير تحمل عروض التجارة المختلفة ، ويذكر أن قيمة ما تحمله قافلة قوامها ألف وخمسمائة بعير خمسين ألف دينار ، وهو مبلغ كبير إذا قيس بقيم العملة الآن (الشريف ، 44).

---

[*] اللطيمة: هي العير التي تحمل الطيب وبز التجارة ، الزبيدي ، مصدر سابق ، ج9 ، ص60 ؛ ابن منظور ، مصدر سابق ، ج12 ص543.

قائمة المصادر و المراجع :

أولاً/ المصادر :

1- المصادر العربية :

1- القرآن الكريم رواية قالون عن نافع المدني .

2- ابن الأثير ، عز الدين أبن الحسن علي بن محمد الجزري ، الكامل في التاريخ ، دار الفكر ، بيروت ، 1978م.

3- ابن سعد ، محمد ابن منيع الهاشمي ، الطبقات الكبرى ، تح . محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1990م .

4- ابن قتيبه ، الشعر والشعراء ، دار الثقافة ، ط4 ، بيروت ، 1980م .

5- ابن كثير ، ابو الفداء الحافظ الدمشقي ، البداية والنهاية ، ط 5 ، مكتبة المعارف ، القاهرة ، 1983 م .

6- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم ، لسان العرب ، دار المعارف ، القاهرة ، 1968م.

7- ابن هشام ، أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري ، السيرة النبوية ، تح . محمد نبيل طريفي ، دار صادر ، ط2 ، بيروت ، 2005م .

8- الأزرقي ، أبي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد ، أخبار مكة وما جاء فيها من الاثار ، ت. رشدي الصالح ملحس ، مطابع دار الثقافة ، مكة المكرمة ، 1983م. 20- الأزهري ، أبي منصور محمد أحمد ، تهذيب اللغة ، تح. محمد علي النجار ، الدار المصرية للتأليف ، القاهرة ، د.ت.

9- الأزهري ، أبي منصور محمد احمد ، تهذيب اللغة ، تح : محمد علي النجار ، الدار المصرية للتأليف ، القاهرة ، د.ت .

10- الاصفهاني ، أبي فرج علي بن الحسين ، كتاب الأغاني ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت ، 1997م.

11- الالوسي ، محمود شكري ، بلوغ الإرب في معرفة أحوال العرب ، دار المعرفة ، القاهرة ، د.ت .
الاندلسي ، ابي عمر احمد بن محمد بن عبد ربه ، العقد الفريد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1983 م .
12- البسوي ، أبو يوسف يعقوب بن سفيان ، كتاب المعرفة والتاريخ ، ط2 ، تح. أكرم ضياء العمري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1981م .
13- البغدادي ، محمد بن حبيب ، كتاب المنمق في أخبار قريش ، دائرة المعارف العثمانية ، حيدر اباد ، 1964م .
14- المحبر ، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، د.ت .
15- الثعالبي ، أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري ، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، 1965م.
16- الرازي ، محمد الرازي فخر الدين ، التفسير الكبير، المطبعة البهية المصرية ، ط1 ، القاهرة ، 1938م.
17- الزبعري ، ديوان عبد الله ، تح. يحي وهيب الجبوري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1981م .
18- الزبيدي ، محمد مرتضى ، تاج العروس من جواهر القاموس ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، 1306هجري.
19- السهيلي ،عبد الرحمن بن عبد الله ، الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لأبن هشام ، شرح وتعليق ، عبد الرحمن الوكيل ، مكتبة دار النصر ، القاهرة ، 1967م .
20- الشامي ، محمد بن يوسف الصالحي ، سُبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ، ج1 ، تح. مصطفى عبد الواحد ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، القاهرة ، 1990م.
21- الطبري ، ابي جعفر محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1991م .
22- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج30 ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت ، 2001م .
الفيروزابادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1986م .

23- القالي ، أبي علي إسماعيل القاسم البغدادي ، ذيل الأمالي والنوادر ، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، د.ت.

24- ـ القرطبي ، عبد الله محمد بن احمد الأنصاري ، الجامع لأحكام القرآن ، ط2 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1952م.

25- الكلبي ، أبي المنذر بن هشام بن محمد السائب ، جمهرة النسب ، تح. ناجي حسن ، عالم الكتب ، بيروت د.ت.

26- المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تح. محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 1987م .

27- اليعقوبي ، احمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب ابن واضح ، تاريخ اليعقوبي ، دار صادر ، بيروت ، 1960م .

2- المصادر الأجنبية:

- Diodorus of Sicily,Harvard University Press, London.

ثانياً:المراجع:

1المراجع العربية:

. أبوشارب ، مصطفى فتحي ، العلاقة بين العرب والفرس وآثارها في الشعر الجاهلي ، دار عالم الكتب للطباعة والنشر ، الرياض ، 1317هجري.

ـ الأفغاني ، سعيد ، اسواق العرب في الجاهلية والاسلام ، مكتبة العروبة ، للنشر والتوزيع ، الكويت ، ط4 ، 1996م.

. أمين ، احمد ، فجر الإسلام ،دار الكتاب العربي ، ط11 ، بيروت ، 1975م.

. بيضون ، إبراهيم ، الحجاز والدولة الإسلامية ، المؤسسة الجامعية للدراسات ، بيروت ، 1983م .

. حمور ، عرفان محمد ، مواسم العرب الكبرى "تاريخ المواسم الكبرى في بلاد العرب وللقواعد التي قامت عليها وأشهر أخبارها وآثارها"، مؤسسة الرحاب الحديثة ، بيروت ، 1999م.

ـ سالم ، السيد عبد العزيز، تاريخ الدولة العربية ، تاريخ العرب منذ عصر الجاهلية حتى سقوط الدولة الأموية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1971م .

. سحاب ، فكتور ، إيلاف قريش ، رحلة الشتاء والصيف ،كومبيو نشر والمركز الثقافي العربي ، بيروت ، 1992م .

ـ سعيد ، محمد ، النسب والقرابة في المجتمع العربي قبل الإسلام ، دراسة في الجذور التاريخية للإيلاف ، دار الساقي ، بيروت ، 2006م.

. صدر الدين ، مصطفى شرف الدين ، هاشم وأمية في الجاهلية ، دار القلم ، بيروت ،1981م.

ـ الشريف ، احمد إبراهيم ، دور الحجاز في الحياة السياسية العامة في القرنين الأول والثاني للهجرة ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1968م .

. ـــــــ ، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1965م.

. العارف ، ممتاز ، الأحباش بين مأرب وأكسوم ، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت ، 1975م

. الفيومي ، محمد ابراهيم ، تاريخ الفكر العربي الجاهلي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1994

. عبد الكريم ، خليل ، قريش من القبيلة إلى الدولة المركزية ، سينا للنشر ، القاهرة ، 1997م .

. العزيز ، حسين قاسم ، موجز تاريخ العرب والاسلام ، مكتبة النهضة ، بيروت ، 1871م.

. عكاوي ، رحاب خضر ، المنتخب من رسائل الجاحظ ، دار الفكر العربي ، بيروت ، 1992م

. علي ، جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1967م

ـ العمادي ، محمد حسن عبد الكريم ، التجارة وطرقها في الجزيرة العربية بعد الإسلام حتى القرن الرابع الهجري، مؤسسة حمادة ، اربد ، 1997م.

. غيث ، فتحي ، الإسلام والحبشة عبر التاريخ ، شركة الطباعة المتحدة ، صنعاء ، د.ت.

ـ الكتاني ، عبد الحي ، نظام الحكومة النبوية ، المسمى التراتيب الإدارية ، ج2 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، د.ت.

ـ لويس ، أرشيبالد .ر. ، القوى البحرية والتجارة في حوض البحر المتوسط "500- 1100م" ، ت. أحمد محمد عيسى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1950م.

ـ مبيض ، عامر رشيد ، موسوعة الثقافة السياسية الاجتماعية الاقتصادية العسكرية "مصطلحات ومفاهيم" ، دار المعارف للنشر والتوزيع ، حمص ، 2000م .

المراجع الأجنبية:

Fadlo , Hourani , George ,Arab Seafaring in the Indian Ocean In Ancient and early Medieval Times, Khayats, Press, 1963.

Henri Lammens , S . I. le Berceau de I'Islam , L'Arabie Occidentale a la veille de l'Hegire , I , Romae :

ثالثاً:الندوات :

. الرشيد ، ناصر بن سعد ، (تعامل العرب التجاري وكيفيته في العصر الجاهلي) ، الندوة العالمية الثانية لدراسات تاريخ الجزيرة العربية ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، 1979م .

Walter W. Muller , Survey of the History of the Arabian Peninsula from the First A.D. to the Rise of Islam , Second International Symposium on the History of Arabia , King Saud University (Formerly Riyadh University) ,Riyadh ,Saudi Arabia ,1984.

رابعاً:الرسائل الجامعية.

. خبيري ، زينب محمد حسن ، (آثر الإسلام في العلاقات العربية الحبشية، من السنة الخامسة للبعثة حتى 132هجري ، 615- 750ف) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، إشراف : سالم محمد المعلول ، جامعة سبها ، 2004ف.

. عبد الحكيم عاشور ميلاد الشعافي ، (السلطة والإيلاف في مكة قبل الإسلام من القرن الرابع حتى بداية القرن السابع الميلادي) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، إشراف :الدكتور احمد محمد انديشة ، جامعة طرابلس ، 2008 .

خامساً:الدوريات.

ـ دراركة ، صالح ، (إيلاف قريش ، ملاحظات حول عوامل السيادة الملكية قبل الإسلام) ، مجلة الدراسات التاريخية ، العددان السابع عشر والثامن عشر ، لجنة كتابة تاريخ العرب ، دمشق ، 1984م .

. مطر ، صالح ، (تطور العلاقات الإفريقية العربية)، مجلة الدراسات الإفريقية ، العدد:4 ، السنة:4 ، مركز الدراسات الإفريقية ، سبها ، 1991م.